قصيدة " فلسطين العزيزة " لمحمد العيد آل خليفة مقاربة أسلوبية

A poem "Dear Palestine" by Mohamed Eid Al Khalifa a stylistic approach

د. عمار مسعي أحمد *

قسم اللغة العربية وآدابها -جامعة الجزائر2 –الجزائر

ahmedammar.mesai@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/08/17 تاريخ القبول 2024/11/16 تاريخ النشر 2024/12/17

ملخص:

يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل، قصيدة "فلسطين العزيزة " للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة، حيث يهدف هذا المقال إلى رصد السمات الأسلوبية في هذه القصيدة من خلال الوصف والتحليل، وتحديد خصائص أسلوب الشاعر، معتمدا في ذلك على المنهج الأسلوبي كمنهج موضوعي ملائم لتحليل النصوص الأدبية واستنطاق كنهها بعيدا عن الذاتية التي غلبت على الدراسات والمناهج الأخرى، وتتأكد جدوى الأسلوبية كمنهج في دراسة الخطابات الأدبية من علميتها وموضوعيتها هذا من جهة، ومن جهة أخرى في شمولية تناولها لكيفية تشكل الخطاب الأدبي وتحديد خصائص أسلوبه، مدعما أو مناقضا ابتغاء للكمال في دراسة الظاهرة الأسلوبية وتقديمها وفق منظور واضح.

الكلمات المفتاحية: مقاربة؛ أسلوبية؛ قصيدة؛ الشعر؛ فلسطين؛ محمد العيد.

Abstract:

This article studies and analyzes the poem "Dear Palestine" by the Algerian poet Mohammed Al-Eid Al-Khalifa. The aim of this article is to

---

* المؤلف المراسل

observe the stylistic themes in this poem through description and analysis, identifying the characteristics of the poet's style. It adopts a stylistic approach as a suitable objective method for analyzing literary texts, moving away from the subjective interpretations that dominate other studies and methodologies. The effectiveness of stylistics as a method for studying literary discourses is confirmed both in its scientific rigor and objectivity on one hand, and in its comprehensive examination of how literary discourse forms and defines stylistic features on the other. This approach seeks to either support or contradict the pursuit of perfection in studying stylistic phenomena and presenting them from a clear perspective.

.key words: Approach; Stylistic; Poem; Poetry; Palestine; Mohammed Al-Eid .

مقدّمة:

تعد الأسلوبية أحد المناهج النقدية التي تستنطق النصوص الأدبية وتبرز سماتها التي تتميز بها عن بقية النصوص، وتهدف هذه الدراسة إلى البحث عن الشيء الذي يتميز به الخطاب الأدبي عند الشاعر عن بقية مستويات الخطاب الأخرى، كما تهدف أيضا إلى البحث في لغة الشاعر بكل موضوعية مستندة إلى أدوات اللسانيات، فهي أبعد ما يكون عن الذاتية والانطباعية، وبناء عليه فماهي أهم السمات الأسلوبية في قصيدة "فلسطين العزيزة" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة؟. ونظرا لطبيعة هذه الدراسة استعنت بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يحتم علينا جمع المادة العلمية وتحليليها وفق ما تصبوا إليه هذه الدراسة، حيث تفترض هذه الأخيرة إبداع الشاعر وعبقريته ومقدرته الشعرية.

المبحث الأول: سيرة الشاعر ومنهجية الدراسة التطبيقية

1- سيرة الشاعر محمد العيد آل خليفة:

ولد محمد العيد آل خليفة في 28 أوت 1904 في مدينة الدار البيضاء، وهو شاعر جزائري من عرش المحاميد من ولاية الواد، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه حيث تعلم للقرآن وغيره من علوم عصره، ودرس بمدرستها الابتدائية، ومن الدار البيضاء رحل مع

عائلته إلى مدينة بسكرة، تعلم بها على يد الشيخ ابراهيم العقبي الشريف وغيره من علماء المنطقة، ومن بسكرة غادر إلى تونس، ليواصل تعليمه بجامع الزيتونة، ثم رجع إلى الجزائر، وللشاعر اسهامات كثيرة في إحياء الانبعاث الفكري، وله كتابات عديدة في العديد من الصحف على غرار: " الشهاب" وغيرها، اشتغل محمد العيد بالتعليم بمدرسة الشبيبة الاسلامية الحرة في الجزائر العاصمة، وترقى في المسؤوليات ليصبح مديرا لمدرسة الشبيبة بالجزائر العاصمة، كان محمد العيد من أبرز المؤسسين لجمعية العلماء الجزائريين وكان عضوا بارزا فيها، ويعد شاعر ها بلا منازع، وشاعر الجزائر أيضا، وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية رجع الى بسكرة وانتقل بعدها إلى باتنة للإشراف على مدرسة التربية والتعليم الى غاية 1947، ثم رحل الى مدينة ميلة لإدارة مدرسة العرفان، وهذا كله قبل اندلا ع الثورة، وبعد اندلا ع الثورة التحريرية الجزائرية 1954، ونظرا لمواقفه في مقاومة الاستعمار ،ألقي عليه القبض وسجن مدة ثم فرضت عليه الاقامة الجبرية ببسكرة، حتى استقلال الجزائر1962. [1]

2.مستويات الدراسة التطبيقية:

الدراسة التطبيقية للنص الشعري تتضمن ثلاثة مستويات رئيسة ومهمة تشمل جميع محاور النص الأدبي وتحيط به، استعنت في ذلك بما ورد في كتاب "الأسلوبية التطبيقية" للدكتور "أحمد عادل عبد المولى"[2]. حيث تضمن تقسيم العمل على النص إلى ثلاث مستويات، المستوى الدلالي بما يتضمن من صور شعرية، والمستوى التركيبي الذي يسلط الضوء على الجملة وتقسيماتها وأنماطها وأشكالها، والمستوى الصوتي والموسيقي الذي هو عمود النص الشعري وبه يتميز عن النص النثري.

المبحث الثاني: المستوى الدلالي:

يشمل البحث في الجانب الدلالي للنص الشعري، كل ما يتعلق بالصورة الشعرية، بجميع أركانها، وكل ما يتعلق بالحقول الدلالية، أو المجال الدلالي، الذي هو عبارة عن كلمات ترتبط فيما بينها دلاليا ويجمعها لفظ عام، وعلى المحلل الأسلوبي رصد الكلمات

التي تتشابه فيما بينها مشكلة المعجم الذي تتشكل منه القصيدة والذي يسهم بشكل واضح في تفسير عمل المبدع والاحاطة بخصائص عمله وأهم مميزاته، ويفسر ميله إلى استعمال مفردات وكلمات معينة دون غيرها، وعليه يمكن القول أن الحقل الدلالي هو توظيف كلمات في مجالات سواء كانت مادية: كالألوان، والزهور، والنباتات والمساكن وغيرها، أو كانت غير مادية: كالحب،. والفن وغيرها. [3]

1.1- التشبيه العادي :

نجد في قصيدة" فلسطين العزيزة" لمحمد العيد آل خليفة أمثلة كثيرة من التشبيه، فالتشبيه يزيد من وضوح المعنى وتصور الشيء، فالشاعر يريد تجسيد الموقف الشعري وشعوره تجاه القضية الفلسطينية في صورة جميلة ملموسة، ومن ذلك نجد التشبيه العادي في قوله :

فلسطين العزيزة لا تراعي ...*... فعين الله راصدة تراعي

وحولك من بنى عدنان جند ...*... كثير العد يزأر كالسباع[4]

يشرح لنا الشاعر محمد العيد آل خليفة في هذه الأبيات موقفه من القضية الفلسطينية، ليس هذا فقط، بل هو موقف جميع العرب- بني عدنان- فالعرب يشاهدون ما يحدث في فلسطين وهم مثل السباع و الأسود يتحينون الفرصة لتحرير فلسطين والقضاء على اليهود، فهم يزأرون ويحيطون بفلسطين من كل مكان، والحقيقة هي ما صوره الشاعر، فالعرب قد خاضوا حروبا عديدة مع اليهود. ولولا حماية الدول الكبرى للكيان اليهودي لتم القضاء عليهم تماما.

ومن أمثلة التشبيه العادي نجد أيضا:

فلسطين العزيزة لا تخافي...*... فإن العرب هبوا للدفاع

بجيش مظلم كالليل غطى...*... حيالك كل سهل أو يفاع[5]

يطمئن الشاعر الفلسطينيين بعدم الخوف والجزع، ففلسطين ليست قضية تخص الفلسطينيين فقط حتى يجزعوا ويخافوا، فهي تخص جميع العرب، وتشكل لهم قضية

جوهرية، فالعرب لم يتخلوا عن القضية ولن يتخلوا عنها، وليس هناك دليل أكبر من أنهم قد حشدوا الجيوش التي لا تحصى حتى أنها من كثرتها تشبه الليل الظلم، وحتى رغم النكبات التي حلت بالجيوش العربية، لم ييأس العرب من القضية الفلسطينية بل في كل مرة يحشدون الجيوش ويشنون الغارات، المرة تلو الأخرى، مما جعل هذا الكيان الغاصب لا يهنأ بالراحة، ولا يحس بالاستقرار، منذ تأسيسه.

2.1 – الاستعارة:

لم يجنح الشاعر محمد العيد آل خليفة إلى هذا النوع من التشبيه، ويبدوا، أنه لا يريد الوقوف كثيرا أمام هذه المشاهد التي تجعل القارئ في حالة تأمل وتفكر، فالأمر تحكيه الحروب التي خاضها العرب ضد هذا الكيان المغتصب لأرض فلسطين، إن الأمر عند الشاعر جلل، ولا يحتاج إلى مشاهد تصدق ذلك، ففلسطين في نظر الشاعر هي قلب العروبة النابض، وفي قلب كل عربي ومسلم، ومع ذلك وجدنا بعض الأمثلة من ذلك :

لنا في الحرب غارات كبار...*... وأيام مخلدة المساعي[6]

وهمات تهون كل خطب ...*... إلى نيل الشهادة في اطلاع[7]

ففي هذا المثال شبه "الهمات" وتعني العزائم، وهي شيء معنوي بالإنسان الشديد صاحب القوة والعزيمة والإصرار، وحذف الانسان وترك شيئا من لوازمه "تهون"، حيث شبه محمد العيد اصرار العرب والمسلمين على محاربة اليهود، وهمتهم في الحرب والقتال، رغم ماحل بهم من نكسات ونكبات في الحرب، وأن ذلك كله لم يفل ويثني من عزائم العرب على محاربة اليهود، مذكرا بأمجاد العرب والمسلمين في ميادين القتال وتوقهم وتشوقهم إلى نيل الشهادة، والاستشهاد في ميادين الحرب والقتال في فلسطين، وأنها كرامة لا تضاهيها كرامة، فهيهات من العرب والمسلمين الذلة.

ومنها أيضا قوله :

ستكشف عنهم الهيجاء سترا...*... وترميهم بكل فتى شجاع[8]

وفي هذا المثال شبه الشاعر " الهيجاء" وهي اسم من أسماء الحرب بالإنسان الذي يكشف الستر ويرمي بالمقاتلين في الميدان وحذف " الانسان" وترك ما يدل عليه " تكشف، ترميهم " على سبيل الاستعارة المكنية، حيث يريد الشاعر تصوير الحرب وشدتها، وأنها السبيل الوحيد لكشف اليهود عن حقيقتهم، وأنها الميدان الوحيد الذي يظهر فيه شجاعة الشجاع الذي يرنو ويتطلع إلى الشهادة، والجبان الذي يضعف ويتخفى وراء الجدران والقلاع. والحقيقة أن الصورة رائعة جميلة تبين الفرق بين الفريقين في صورة جميلة.

2-الكناية:

محمد العيد آل خليفة شاعر ذو ثقافة واسعة يتجلى ذلك من خلال توظيفه الجيد للكنايات وتوزيعها داخل النص، حيث نلاحظ أنه يراعي موضوع القصيدة، والمخاطبين داخل القصيدة، ومن أمثلة ذلك:

فلسطين العزيزة لا تراعي ...*... فعين الله راصدة تراعي[9].

حيث أن الشاعر وضح في هذا البيت أن الله يرعى هذه القضية، وهي كناية عن "الحماية"، بدليل أن القضية الفلسطينية هي قضية دينية، وأنها موعودة بالنصر، وأنها ملك للعرب فلا قلق من وجود اليهود وتدنيسهم لتلك الأرض الطاهرة، فالله حاميها وراعيها، وأنها ستحرر بوعد الله.

ومن أمثلة ذلك أيضا:

وحولك من بنى عدنان جند ...*... كثير العد يزأر كالسباع[10]

الشاعر يعرف مدى الجحود والنكران الذي يتميز به اليهود عن باقي شعوب العالم، وأنهم ينكرون نسل العرب من نبي الله إسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم عليه السلام، وأنهم يحقدون على " بني عدنان" وهي كناية عن " العرب" الموعودون بسكنى فلسطين في كتبهم المقدسة.

ومن أمثلة ذلك أيضا :

يجود بكل مرتخص وغالي ...*... ليدفع عنك غارات الضباع[11]

يعرف الشاعر أن أعز شيء يملكه الإنسان هي نفسه التي بين جنبيه، فهي أغلى ما يملك، وهي كناية عن " الشهادة" من أجل الدفاع عن أرض فلسطين ومقدساتها وهو ما لن يفعله اليهود الحريصون على الحياة، فمثلهم مثل الضباع، وهي كناية عن " خسة طبع اليهود" الذين يأكلون بقايا الأبطال، وفتاة الشجعان.

ومن أمثلة ذلك أيضا:

سيهجم من مراكزه عليهم ...*... هجوم الاكلين على القصاع[12]

حيث يمثل الشاعر هجوم العرب على اليهود، بهجوم الآكلين الجياع على القصاع، وهي كناية عن

" الشره"، وحب قتال اليهود، وذلك لما يعرفون من أن قتالهم واجب ديني، لأنهم ظالمين معتدين غاصبين للأرض، ومعتدين على الشرائع السماوية. فالشاعر أبدع في وصف المجاهدين وتوقهم للشهادة والقتال في فلسطين.

ومن أمثلة ذلك أيضا :

وكيف نذل أو نرضى انخفاضا ...*... ونجم جدودنا نجم ارتفاع[13].

فالشاعر يذكر اليهود ومن يحاول الوقوف معهم بأن العرب ليسوا قوم انخفاض أو ذلة، ويذكر بتاريخ الأمة الإسلامية حين كان نجمها صاعدا حيث أذلت اليهود والفرس والروم، وهي كناية عن الانتصارات، والحضارة القوية التي بناها العرب على أنقاض الفرس والروم. والتاريخ يشهد بذلك.

3-إيحاء المفردات:

تتوشح قصيدة " فلسطين العزيزة " بكم هائل من المفردات الموحية وذات البعد الدلالي والتي تدل على مدى توسع مخيلة الشاعر، وبعد نظره، وعلى ثراء معجمه اللغوي بمفردات خصبة جزلة ذات معاني واسعة ودقيقة ومن أمثلة ذلك: (العزيزة: وتعني القوية والمنيعة، الهيجاء: وتعني الحرب، السباع: وتعني الحيوان المفترس، العبري: وهم

اليهود، القلاع: وهي الحصون الممتنعة، ثغور :وتعني أماكن هجوم العدو، همات: وتعني الاهتمام بالشيء، نجم: وتعني الشيء إذا طلع وظهر ونفذ). وهي مفردات ذات أبعاد دلالية كبيرة.

4-الحقول الدلالية:

شكلت الحقول الدلالية في النص سيمات ظاهرة لم تخف على أحد، ففلسطين محتلة ومغتصبة، والإنسان فيها مضطهد ومعتقل، لذلك سادت مجموعة من الحقول دون غيرها، وشكلت مع غيرها قصيدة متكاملة الأركان، ظاهرة البيان، فتنوعت بين مجالات المفاهيم التالية: الإنسان والدين، والحرب والطبيعة والحيوان.

أ-**معجم الإنسان**: "العزيزة، عدنان، بنى، لبى، خف، يجود، جياع، فتى، شجاع، انصار، جدودنا، همات، طباع، آكلين، ....الخ

ب–معجم الدين: عين الله، الشهادة، يرابط، ثغور...الخ

ج–معجم الحرب: جنود، الحرب، غارات، نزاع، يرابط، القلاع، سيهجم، مراكزه، الغبراء، صرعى، نواعي، المعارك، .....الخ

د–معجم الطبيعة: سهل، بقاع، نجوم، نجم، الليل، أيام،.....الخ

هـ–الحيوان: السباع، الضباع، يزأر.

ويمكننا القول أن فلسطين أرض رباط، وجهاد، ومقاومة، فكان معجم الحرب سائدا بكل عناصره، فهم في رباط دائم، وتلى معجم الحرب المعجم الإنساني، فقد أصبحت فلسطين رمزا للإنسانية جمعاء، من حيث ما يعانونه من ظلم وتشريد وتغريب وترحيل وتهجير وتنكيل، وذلك جعلها قضية ذات بعد إنساني، استعطفت كل البشر بغض البصر عن دينهم وأعراقهم ومعتقداتهم، فهبوا يدافعون عن فلسطين وحقوقهم في سكنى أرضهم، وفي الرجوع إلى ديارهم التي هجروا منها قسرا. وهذان المعجمان هما السائدان أما بقية المعاجم، فقد جاءت عرضا لخدمة موضوع القصيدة، فمعجم الطبيعة يصور لنا أرض

فلسطين، ومعجم الدين لم يكن حضوره قويا في القصيدة، لأن القومية العربية كانت هي المؤثر الأكبر في القضية، كما أن فلسطين هي قبلة جميع الأديان السماوية، لذلك فهي محط أنظار الجميع، والحقيقة أن الشاعر تحاشى أن يجعلها قضية دينية، لأن اليهود يزعمون أنها قضيتهم الدينية أيضا. وتناسوا أنها أرض عربية والعرب أحق بها من غيرهم، كما أن الدين الإسلامي متسامح ولم يمنع أحدا من ممارسة شعائره، وجاء في المرتبة الاخيرة معجم الحيوان من أجل تشبيهات معينه.

وقد كانت هذه المجالات الدلالية التي تغطي كامل القصيدة بمثابة الدليل على فكرة يريد محمد العيد آل خليفة أن يفصح عنها، وهي أن القصية الفلسطينية أولا وقبل كل شيء هي قضية عربية، ولا دخل لأحد فيها بصرف النظر عن دينه ومعتقده.

5-التضاد:

جاءت القصيدة مليئة بالكلمات الدالة على التضاد ومنها الطباق في قوله:

فلسطين العزيزة لا تراعي ...*... فعين الله راصدة تراعي[14]

الشاعر يريد أن يطمئن فلسطين فهي عزيزة على الجزائريين وجميع العرب، فلاداعي للخوف والجزع، فالله يرعاها ويتولاها. بنصره وبالمؤمنين، وهو طباق السلب في قوله (لا تراعي، تراعي)

ومن أمثلته أيضا :

يجود بكل مرتخص وغالي ...*... ليدفع عنك غارات الضباع[15]

يريد الشاعر بهذا المثال أن يبين أن النفس والمال في سبيل تحرير فلسطين لا معنى لها، فالنفس والمال فدى لفلسطين. وهو طباق الإيجاب في قوله (مرتخص وغالي).

ومن أمثلته أيضا:

وكيف نذل أو نرضى انخفاضا ...*... ونجم جدودنا نجم ارتفاع[16]

ففي هذا المثال يصور الشاعر المسافة بين الذلة والرفعة، ويستعمل التضاد وسيلة للكشف عن نفسيته وهي أن العرب لا ولن يرضوا بالذلة، خاصة أنهم ورثوا من أجدادهم

مجدا تليدا، مليئا بالانتصارات، والفتوحات، وأركعوا إمبراطورية روما، والفرس، فهم دائما مرفوعين الرأس.

6-الحصر والقصر:

القصيدة غنية بهذا النوع ،فالقصر أن تحكم أو تخصيص أمر بآخر[17]، ومن أمثلة ذلك :

وما أسيافه إلا نجوم ...*... رجوم لليهود بلا نزاع[18]

فالشاعر في هذا البيت يؤكد لليهود بأن حربهم أكيدة وشيكة، وأن حربهم لن تكون تقليدية بالسيف والوسائل البدائية مثل السكاكين، والحجارة، بل ستكون بالصواريخ وآلات الحرب الحديثة كالطائرات والراجمات وغيرها، حيث قصر الحرب بالراجمات وخصصها بذلك، وفي هذا البيت أيضا كناية حيث كنى عن "الصواريخ المشتعلة: في سماء فلسطين ب بالنجوم الرجوم.

المبحث الثالث: المستوى التركيبي:

شكلت دراسة المفردات في الجانب الدلالي، في اطار الحقول الدلالية طريقا إلى دراسة التركيب اللغوي، الذي يحكمه قواعد النحو والصرف، كما يخضع للمخيلة خضوعا مطلقا ويرتبط بعلم البيان ارتباطا وثيقا ومن مباحثه:

1-الحذف:

الحذف في كلام العرب أسلوب معهود ومسلك معروف، يعمدون إليه لتحقيق أغراض بلاغية ودلالية معينة، تفيد في تقوية الكلام وتأكيده، وإخراجه على الأسلوب الأمثل. وقد ظهر في كثير من أبيات القصيدة وهو أنواع:

1.1-حذف المفردة:

ومن ذلك حذف الفاعل في قوله:

يجود بكل مرتخص وغالي ...*... ليدفع عنك غارات الضباع [19]

فقد حذف الشاعر الفاعل وهو " المجاهد أو المدافع " عن فلسطين، لأن من يجود بنفسه وماله هو أشرف إنسان عرفته البرية، وهو غني عن التعريف، فهم من تزينت الجنان لاستقبالهم، ومن يجود بنفسه غير المجاهد؟، الذي يدافع عن حرمة الوطن والدين، فهو معروف وفلسطين هي أرض الشهداء، والأنبياء والأولياء.

2.1–حذف العبارة:

ومن ذلك قول الشاعر محمد العيد:

فلسطين العزيزة لا تراعي ...*... فعين الله راصدة تراعي[20]

بليت بهم صهاينة جياعا ...*... فسحقا للصهاينة الجياع[21]

فقد حذف الشاعر عبارة " فلسطين العزيزة " من الشطر الأول وذلك أن الشاعر يأنف أن يذكر فلسطين والصهاينة في بيت واحد، فهو شاعر غيور .

2– التقديم:

يعد التقديم من الظواهر الأسلوبية المهمة كما يصفها الجرجاني فيقول: <<...فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدَّم فيه شيء ....>>[22] والتي أثبت الشاعر جدارته فيها، وفي حسن إخراجها والإشارة إليها حيث يقول:

وحولك من بنى عدنان جند ...*...كثير العد يزأر كالسباع [23]

ففي هذا المثال قدم الشاعر محمد العيد" الظرف " و " الجار والمجرور" على المبتدأ " جند"، وذلك من أجل إفادة الحصر والاختصاص، فالعرب هم من يحيطون بفلسطين، وهم من سيحررها من الصهاينة طال الزمن أو قصر، ففي الظرف دلالة على المكان، لكون فلسطين أرض عربية بين دول عربية، وبنو عدنان كناية عن العرب الذين سيحررون فلسطين، وهم كما وصفهم الشاعر كثيري العدد، لهم عزيمة السباع، ولقد نجح الشاعر في رسم صورة واقعية عن فلسطين وخريطتها من خلال هذا البيت. وصور لنا المشهد بصورة واضحة.

3–التأخير:

ومن الظواهر الجمالية التي توضح لنا الحالة الشعورية التي تملأ الحاضرين في هذا المشهد هو ظاهرة تأخير ما حقه التقديم و التي جاء بها الشاعر في قوله:

فلسطين العزيزة لا تراعي ...*... فعين الله راصدة تراعي [24]

فلسطين العزيزة لا تخافي ...*... فإن العرب هبوا للدفاع[25]

فقد أخر الشاعر الفعل والنهي "لا تراعي"، " لاتخافي" على الجملة "فلسطين العزيزة" وذلك لطمأنة الفلسطينيين، بأنهم أعزاء علينا، وأن لا خوف عليهم، فلن يضيعوا بين عناية الله لهم، وهبة العرب للدفاع عليهم، فالصبر مطلوب وعدم الجزع والخوف مطلوب أيضا. وأن الخوف لن يقدم حلا للقضية، فهم بين النصر أو الشهادة. حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

4- الصرف:

إن تكرار الشاعر صيغة " فعال" مثل " تراعي "، "سباع"، "بقاع"، "ضباع"، "جياع" ....الخ تكرار هذه الصيغة يدل على كل فعل دل على الامتناع، أو الانتهاء الزماني، أو هياج، أو صوت، ولا شك أن معاناة الفلسطينيين ستنتهي، وهياج العرب لايزال باقيا حتى تنتهي محنتهم وتتحرر فلسطين، وصوتهم لن يسكت حتى يسكت صوت الغاصبين.

أ)-**أما الفعل:** فتكمن قيمته الاسلوبية في قصيدة محمد العيد في تنوعه وتواتره ومن ذلك فقد ورد الفعل المضار ع (17) مرة، والفعل الماضي (10) مرة، ولا وجود لفعل الأمر، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الحركية في القصيدة، فالفعل الماضي يدل على الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، والعرب وأمثلة ذلك: (استصرخته، خف، غطى، اغتر، بليت، كان، هبوا، لبى، خلقنا ،...الخ) والفعل المضارع يدل على الحركة في ظل الأوضاع التي تعيشها فلسطين من الترقب والحذر، وكله مقاومة للطغيان والإحتلال، فجاء المضارع الذي يدل على الحاضر بنسبة كبيرة(تراعي، يزأر، يجود، ترميهم، أصابوا، تجافي، يدفع، يتركهم، تهون، يرابط،.....الخ) والمضارع الدال على المستقبل فأفعاله قليلة لأنها مؤجلة وغير معلومة، ومن أمثلتها: (سيهجم،

ستكشف...الخ) ولغياب فعل الأمر غاية يريدها الشاعر، وهو أن الشعب الفلسطيني شعب محاصر فليس مطلوب منه إلا الصبر، وأن من يقع عليه مقاومة المحتلين وحربهم هم العرب فهم أهل الدار ويقع عيهم أخذ الثأر. ويمكن القول أن الشاعر يرى في القضية الفلسطينية قضية قومية عربية.

ب) –أما الجمل: تنوعت في القصيدة بين الجمل الفعلية والاسمية، فجاءت متحركة ممتلئة بالحركة في كثير من الجمل، و يسودها السكون والترقب لما هو قادم في قابل الأيام، في جمل أخرى، أما الجمل الاستفهامية مثل قوله:

متى كان اليهود جنود حرب ...*... وكفؤ الأعارب في الصراع؟[26]

فغرض الاستفهام هنا ليس السؤال بل التحقير من شأن اليهود، وأنهم أحرص الناس على الحياة، ومن بين المثلة الاستفهامية أيضا :

وكيف نذل أو نرضى انخفاضا...*... ونجم جدودنا نجم ارتفاع؟ [27]

وغرض الشاعر هنا ليس السؤال بل نفي الذلة والوضاعة والغلبة، غرضه الاشادة والفخر بالنفس والأجداد.

استخدم محمد العيد آل خليفة العديد من الجمل الانشائية، لأسباب تمليه عليها طابع القصيدة، فيصف فلسطين بالعزة، ويردف قوله بجمل تؤيد هذا المسعى لينفي عن نفسه وعن العرب كل ما من شأنه أن يضع من قيمتهم أو شجاعتهم، ويترك تحرير فلسطين للظروف الملائمة، رغم النكبات المتكررة التي لها أسبابها.

المبحث الرابع: المستوى الصوتي والموسيقي:

يمثل المستوى الصوتي الموسيقى الإطار الشكلي الحامل للموضوع الشعري، فالقصيدة هي عزف من الشاعر ومشاعره على بحر من بحور الشعر، يمكن الشاعر من التعبير عما يجوش في خاطره من الأحاسيس والأفكار، فالموسيقى لغة الشعوب، ويفهمها الجميع، ويتفاعل معها سلبا أو إيجابا، وهذا الشيء بالذات يرتقي بالقصيدة من كونها موسيقى

فقط، بل هي شعور ووجدان ترجعها صوت موسيقي هادف يحكي مأساة شعب طال إحتلاله.

1-الوزن:

الوزن هو سلسة من المتحركات والسواكن[28]، فقد اختار الشاعر محمد العيد آل خليفة "البحر الوافر"، وهو أحد بحور الشعر العربي الستة عشر، بحرا لقصيدته "فلسطين العزيزة" والتي مطلعها :

فلسطين العزيزة لا تراعي ... ********... فعين الله راصدة تراعي[29]

0/0// * 0/// 0// * 0/ 0/ 0// *******0/0// * 0/// 0// * 0/ 0/ 0//

مُفَاْعَلْتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ **********مُفَاْعَلْتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ

حيث دخل عليها زحاف " العصب" وهو: (تسكين الحرف الخامس المتحرك) فتصبح به (مُفَاْعَلَتُنْ): (مُفَاْعَلْتُنْ 0/0/0//).

ويعد هذا البحر من جنس البحر الكامل، وأخوه في دائرته، وذلك لوفور حركاته وتدفقها وهو بحر يصلح للأداء العاطفي وللتعبير عن الغضب الثائر في مثل هذه القصيدة.

2-القافية:

تعد القافية الوجه الثاني من أوجه الإيقاع بعد الوزن، تقع في آخر البيت[30]، وهي جزء إيقاعي مهم جدا و بالغ الأهمية في قضية موسيقى الشعر، وتعد لازمة من لوازم البناء الشعري، وحتى في حركة الشعر الحر لم تختف القافية، بل تنوعت أشكالها وتعدد توظيفها و تشكل القافية البنى الأسلوبية الداخلية في النص فتمنحها صفة دلالية موحية ومعبرة، وقد اختار الشاعر محمد العيد آل خليفة قافية على صيغة "فعلن" وهي تدل على معاناة الفلسطينيين في أرضهم من كثرة الحركة والتنقل، والمصير المجهول ومن أمثلتها "راعي، باع، قاع، باع، ياع، جاع، داع...الخ.

1.2-حرف الروي:

اختار الشاعر حرف "العين "رويا لقصيدته، حيث يمثل الروي أهم حروف القافية وعليه تبنى القصيدة، وبه تسمى، يمثل الصوت وهو يتكرر. ومن صفاته الجهر: بسبب قوة الاعتماد على مخرجه، حيث يهتز الحبلان الصوتيان بقوة، ويتكيف كل الهواء الموظف لنطق الحرف بالصوت، ولا يخالطه النفس الكثير. وقد وفق فيه الشاعر فالقضية الفلسطينية تحتاج إلى تظافر الجهود واتحاد العرب لتحريرها.

3- التكرار:

1-3 تكرار الاصوات والحروف[31]:

من الحروف الاكثر تكرارا في القصيدة حرف " الألف" (104) وهو الحرف الأكثر تكرارا في القصيدة، فتكرار حرف الالف له دلالته وتكمن قوة الالف في قدرته على إثارة انتباه السامع، ويصل بالمشاعر التي يخفيها الشاعر في نفسه إلى العلن، ويصل بالقضية الفلسطينية التي يحاول اليهود أن يجعلوها قضية تخصهم فقط، ويخفتون كل صوت يعلوا للدفاع عنها، فها هو الشاعر يبوح في قصيدته عن كل تلك المشاعر، ولا يجد إلا حرف الألف الذي يعينه على التعبير بكل قوة وجوهرية.

ومن الحروف الأكثر تكرار حرف " الراء"، حيث تكرر (38) مرة، وفيه من صفات القوة مثل الجهر والانحراف والتكرير والتفخيم، ما يخدم غرض الشاعر من تكراره فهو يسنده في التعبير عن مشاعر الغضب والثورة على اليهود ومن شاكلهم من المغتصبين الأشرار.

ومن صور تكرار الحروف الأكثر تواترا في القصيدة نجد حرف " الياء" حيث تكرر (42) مرة، صفات حرف الياء كثيرة، ومن صفات حرف الياء: الجهر: فهو ليس من الحروف المهموسة، وإنما يخرج من الفم بصوت. وتواتره الكثير في القصيدة يدل على تغير الحالة الشعورية للشاعر نظرا للنكبات التي تعرضت لها فلسطين وليست من فعل الهزيمة، لكن من أسبابها الخيانات والدسائس والمؤامرات.

2.3-تكرار الكلمات:

نجد في القصيدة العديد من الكلمات التي نالت حظا وافرا من التكرار، ولما للتكرار من وقع موسيقي خاص، فقد كرر الشاعر محمد العيد آل خليفة كلمة " اليهود" أربعة مرات (04) وبلفظ "الصهاينة" (02) و بلفظ "العبري" (01) وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على أن الشاعر يصفهم بكل الصفات، فهم القوم الذين عبروا مع موسى علية السلام، وهم اليهود نسبة لأبناء يعقوب عليه السلام الذين حاولوا قتل أخيهم، وهم الصهاينة المعتدون في أرض فلسطين.

ويركز محمد العيد على ورود كلمة العرب بصيغ مختلفة خمسة مرات (05) مرة بلفظ " العرب" ومرة "بني عدنان"، ومرة " الأعاريب" ومرة "جدودنا"، ومرة " العروبة" ويريد الشاعر أن يكشف لنا ما يحيكه اليهود من تدليس للواقع حين ينفون نسب العرب إلى اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. فيذكرهم أنه من بني عدنان بن اسماعيل عليه السلام، ثم يذكر كلمة الأعاريب وهم أهل البدو من الصحراء، حيث يسخر اليهود من هؤلاء بأنه لن يكون منهم نبي أو رسالة، ومنهم بعث النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم من ولد إسماعيل عليه السلام. وهم قوم أميون. كما يذكر الشاعر بالعروبة والقومية العربية التي تربط العرب بأرض فلسطين.

ومن صور تكرار الكلمات ايضا تكرار كلمة " الحرب " (03) مرات، وبلفظ " الهيجاء" (01) وبلفظ " الغبراء" (01) وبلفظ " المعارك" (01) وبلفظ " الجيش" (01) حيث نلاحظ أن الشاعر يرى أن حرب اليهود واجبة من تحظير للجيوش وشن للغارات، ويصف الحرب بكل الأوصاف القاسية، وكأنه يوضح موقفا من اليهود وكيفية التعامل معهم، فهم قوم غدر ومكر وخداع، وليس يشفي غليله منهم إلا تلك الحرب الشديدة التي تتركهم صرعى على الغبراء.

ومن صور التكرار للكلمات أيضا نجد لفظ " فلسطين " التي تكررت مرتين (02) في القصيدة، وهذا إن دل على شيئ فإن محمد العيد لايرى في فلسطين قضيتهم لوحدهم، بل يراها قضية العرب بأجمعهم، لذلك ورد اسم فلسطين قليلا في القصيدة.

ومن ضور تكرار الكلمات أيضا نجد تلك الصفات التي انتشرت داخل القصيدة مثل: كلمة "جياع" كررت (02)، وكلمة " طباع"، وكأن الشاعر يريد القول: أن اليهود هم جياع بطبعهم، وأن طباعهم طباع سوء ومكر وخداع فلا مجال لأن يتغيروا، أو يتبدلوا، أو أن يفوا بعهد، أو أن يحافظوا على ميثاق.

3.3-تكرار العبارات:

تعمد الشاعر محمد العيد آل خليفة تكرار جملة واحدة، وهي "فلسطين العزيزة"، تكررت مرتين (02)، يريد أن يقول: لاشي يهمنا إلا فلسطين، فهي من أعز ما يملك العرب والمسلمون ولا يمكن التفريط فيها. ويقول في ذلك:

فلسطين العزيزة لا تراعي ...*... فعين الله راصدة تراعي[32]

وأيضا في قوله:

فلسطين العزيزة لا تخافي ...*... فإن العرب هبوا للدفاع[33]

ويتضح من خلال شعره أنه يبعث الاطمئنان للفلسطينيين، وأن العرب سيهبون للنجدة.

خاتمه:

يمكننا القول وقد تم لنا الوقوف على أهم السمات الأسلوبية في قصيدة " فلسطين العزيزة" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

- أن الشاعر له قدرة كبيرة في صناعة الشعر ونظمه حيث طوّع اللغة لخدمة موضوعه..
- لقد وضح محمد العيد منذ البداية أن العزة للفلسطينيين، في أرضهم التي لاينازعهم فيها أحد، فهي أرض عربية فلسطينية، وقد جاء شعره مفعما بالحيوية والنشاط متقلبا بين الحركة والسكون، كله إصرار على هزيمة اليهود وتطهير أرض فلسطين منهم، محاولا التقليل من شأن اليهود وقدراتهم في الحرب.
- لقد كان المنهج الأسلوبي دقيقا جدا في تحليل هذه الأبيات لاعتماده الموضوعية في التحليل، والشمولية في دراسة النص، مما يجعله من المناهج الأكثر دقة وموضوعية.

– أفرزت الدراسة التطبيقية على نتائج مهمة وهي غنى القصيدة بالعديد من الظواهر الأسلوبية سواء في الجوانب الدلالية، أو التركيبية، أو الموسيقية والصوتية.

– تقترح الدراسة دراسة نماذج شعرية حديثة ومقارنتها بالدراسات القديمة للوقوف على مدى التطابق في النتائج، وللوقوف على مدى دقة وموضوعية المنهج الأسلوبي.

1–محمد العيد محمد علي خليفة: شعراء الجزائر: ديوان محمد العيد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1979، التعريف بالشاعر .

2– أحمد عادل عبد المولى: الأسلوبية التطبيقية، تقديم محمد عبد المطلب مصطفى، مكتبة الآداب، د ط، القاهرة، 2013.

3 حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية ،دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ط الأسكندرية،1988، ص143.

4 – ديوان محمد العيد، ص 303.

5– ديوان محمد العيد، ص 303.

6–ديوان محمد العيد، ص 304.

7–ديوان محمد العيد، ص 304.

8–ديوان محمد العيد، ص 303.

9–ديوان محمد العيد، ص 303.

10ديوان محمد العيد، ص 303.

11–ديوان محمد العيد، ص 303.

12–ديوان محمد العيد، ص 303.

13–ديوان محمد العيد، ص 304.

14–ديوان محمد العيد، ص 303.

15–ديوان محمد العيد، ص 303.

16–ديوان محمد العيد، ص 304.

17– السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تح: الشيخ أحمد جاد، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2014، ص 161.

18–ديوان محمد العيد، ص 303.

19–ديوان محمد العيد، ص 303.

20–ديوان محمد العيد، ص 303.

21-ديوان محمد العيد، ص 303.

22 عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز في علم المعاني ،دار المعرفة للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1981، ص 170.

23-ديوان محمد العيد، ص 303.

24-ديوان محمد العيد، ص 303.

25-ديوان محمد العيد، ص 303.

26-ديوان محمد العيد، ص 303.

27-ديوان محمد العيد، ص 304.

28-مصطفى حركات: نظرية الوزن: الشعر العربي وعروضه، دار الآفاق، دط، الجزائر، 2005، ص46.

29-ديوان محمد العيد، ص 303.

30 عبد الباقي بن عبد الله أبو يعلى التنوخي: كتاب القوافي: تحقيق الدكتور عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، ط2،مصر 1978، ص59.

31 لمزيد من الإطلاع على معاني الأصوات اللغوية، ينظر كتاب: عبد القادر عبد الجليل: معاني الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 1998.

32-ديوان محمد العيد، ص 303.

33-ديوان محمد العيد ص 303.